محمد الزنتاني

ما قد تبوح به الشمس
ساعة الظهيرة

مجموعة قصصية



ما قد تبوح به الشمس ساعة الظهيرة

مجموعة قصصية

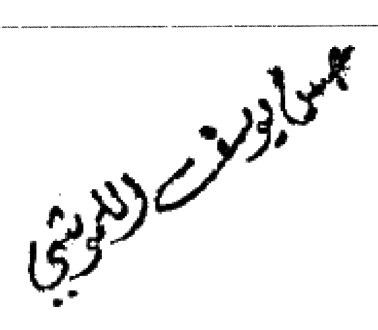
محمد الزنتاني

ما قد تبوح به الشمس
ساعة الظهيرة

مجموعة قصصية

2015 / 2014





محمد الزنتاني

ما قد تبوح به الشمس ساعة الظهيرة (مجموعة قصصية)

الطبعة الأولى : 2018 م

رقم الإيداع المحلي: 2019/31

رقم الإيداع الدولي: 9789959-25-998-1

دار الكـتـب الـوطـنـيـة بـنغازي - لـيبيـا

هاتف: 7165022.21821+ - بريد مصور 4843580-21821+

ص.ب: 75454 - طرابلس Email: almosgb@yahoo.com

ابتسامات

●

ارتفع معدّل النبض وتسارعت الأنفاس ،

..

نظرت إليه مليّا ،

تأمّلت ملامح وجهه الحادّة، غير المكترثة ،

انشغلت بتقليب محتويات حقيبتها ،

استكانت قليلا لفكرة خطرت لها ،

رتّبت أوراقها من جديد،

هدأت أنفاسها ،

نظرت إليه مرة أخرى، محاولة كسر حاجز الصمت ،

لم تقل شيئا ،

لكنها ،

ابتسمت !

●

نظر في عينيها بتردّد،

حاول أن يتحدّث إليها، لم يجرؤ، لم يقل شيئا،

لكنه رتّب كلاما صامتا، وهو يداري ألما، بدأ يغوص في الأعماق،

راقت له الفكرة ،

أطلق ابتسامة هو الآخر، وأعاد ترتيب كلامه في أعماقه الضاجة .

●

رمقته بنظرة ثاقبة، وكأنها تستشف ما تخبأه العيون، وقالت وهي تداري شهقة ودمعتين :

● لا عليك .

ولم تستطع أن تقول أكثر من ذلك،

فتجرأ وأمسك أصابع يديها، وقال على عجل :

● لا مفر من الاعتراف، ستضل الابتسامة وفي أغلب الأحيان، تجاوب خجول، يفضي لا إراديا، مع تسرّب الوقت، إلى بوح بهي !

وترك أصابعها تلهث، وانطلق مسرعا وموسعا خطواته كي تلاحق امتداد الدرب المعشوشب، المنبسط أمامه برحابة باذخة .

وقت عجول

كانت تعقد ظفائرها في تعجّل مكتوم، لا يريد أن يفصح عن الرغبة في ترك ذاك المكان .

لم يلحظ ذلك وطلب أن يبقيا معا وقتا أطول، متعذرا بأن الحديث لا ينتهي، والجراب مملوء بما يمكن أن يقال .

●

قالت بارتباك وهي تداري خاطرا لا يريد أن يطفو على السطح ،

قالت، محاولة لملمة أنفاسها والابتعاد خطوات ،

قالت، وهي تتنهّد وتمسك بحقيبتها :

● لا تلمني، أنت تعرف أن الوقت لا يسمح، الوقت قد يسرقنا !

●

رد متداركا ومرتبكا وبدون أن يجد وقتا لترتيب كلامه :

● لا عليك، ألا تعرفين،

الوقت، أيضا، قد يسير بتمهّل ،

الوقت، أحيانا، لا يبدد خطاه !

●

شهق الأفق ،

واندلعت تنهدات صابرة، في الجوار !

كونشيرتو المساء

ونحن نتناول طعام العشاء، في أمسية هادئة ذات نهاية أسبوع، حدثني عن بعض ذكرياته من رحلته الأخيرة إلى بعض البلدان، وعن إحداها قال :

. .

● حدث ذلك بعد الحادية عشرة بقليل ،

في ليلة هطلت فيها الثلوج بغزارة، وعلى ضوء الشموع في صالة المشرب، بفندق الانتركونتيننتال، بمدينة زيورخ السويسرية ،

. .

● قلت لك، بعد الحادية عشر بقليل ،

وفي ذروة الانسجام بالاستماع إلى تلك العجوز السبعينية، الجالسة في زاوية بين نافذتين مظللتين بستائر غامقة، وهي تعزف على البيانو بعض المقاطع من كونشيرتوهات ألمانية قديمة، التفت صديقي الذي رافقني الرحلة، رجل الصناعة المخضرم، ناحيتي وقال همسا وبتلعثم بدا واضحا لسامعه :

● اسمع، أريد أن أفضي إليك بسر، أعني هل من عادتك أن تحفظ السر ؟!

فوجئت بسؤال هو أجبته مطمأنا :

● لا تخف يا صديقي، هات ما عندك من أسرار !

فابتسم ومال قليلا إلى الأمام وقال :

● لم أعد أتحكم في رموشي كالعادة، إنها تتحرك بدون إرادتي، لا أستطيع إيقافها، وألقى نظرة سريعة على الجالسين بجوارنا على الجانبين، وأضاف متلعثما :

● قد يلاحظ أحد ما من الحاضرين هنا هذا الأمر، ماذا سأفعل، ماذا يعني ذلك ؟!

فابتسمت رغما عني، وأجبته محاولا إنهاء الحوار بسرعة ومواصلة الاستماع :

● يا لك من صديق جميل، ويا لك من جراب مملوء بالأسرار، هه، قل لي، كم كأسا دلقت في جوفك من هذا السائل الذهبي الرقراق، حتى الآن ؟!

وأشرت إلى الكأس الموضوع أمامه على الطاولة، فأمسك بمعصمي وضغط قليلا بود ظاهر وقال :

● حسنا، لا بأس، لقد فهمت الآن !

واستسلم لصمت ،لا بد أنه أفضى إلى إنصات، أتاح المجال (للعجوز السبعينية) أن تواصل بأناملها النحيفة، طرقعة مفاتيح البيانو (الذي ظل محشورا بين نافذتين، مظللتين بستائر غامقة) فيما بدأت إنارة الشموع في الشحوب بالتدريج مع مرور الوقت، واستكانت إلى هدوء وانساب صمت ،لابد أنه سيفضي إلى إنصات ،هو الآخر !

وأضاف منبهرا بوهج اللحظة :

● كهذه الشموع الموضوعة أمامنا على هذه الطاولة، والتي بدورها

بدأت في الشحوب بالتدريج ومع مرور الوقت، ولعلها ستستكين بعد لحظات هي الأخرى إلى هدوء وصمت، سينساب هو أيضا، ولكنه لن يفضي إلى أي إنصات كما ترى !

طموحات

المرأة الواقفة على حافة الشرفة المعلّقة ،

في الدور الثاني ،

في العمارة الشاهقةالمطلة على الشارع الرئيسي ،

تبتسم، وهي تنحني على الحاجز المعدني، وتلقي نظرة على المارة، على امتداد الرصيف، في الأسفل،

..

المرأة الواقفة على حافة الشرفة المعلّقة ،

في الدور الثاني ،

في العمارة الشاهقة، المطلة على الشارع الرئيسي ،

تعودت أن تفعل ذلك بين الحين والآخر ،

..

قشعريرة لذيذة تعرفها جيدا ،سرت في جسدها، ولذّة مكبوتة أعلنت عن نفسها بدون مواربة ، وانتشرت بحمرة فاقعة على الخدين، وبريق نزق لايدارى على الجفنين، وتنهيدة تحمل كل أسرار الكون، امتزجت مع صوت حفيف الملابس المنشورة بفعل هبوب خفيف لريح منعشة لا زالت تنتشر في الجوار،

حدث كل ذلك، وهي تواصل نشر الملابس على حبل الغسيل

الرفيع، والذي لا يكاد يرى من الشارع الملاصق .

●●●

المارة ،يرفعون رؤوسهم إلى أعلى ،

يبحلقون في الملابس المعلقة في الهواء ،

ولا يدارون ولو إلى حين، رغباتهم الحارة والمكبوتة ،

..

المرأة ،يفتنها ارتباك الشارع ،

وهو يرفع رأس هو يبحلق في الأعلى ،

يزرع في أوصالهاالخدر المسكر اللذيذ، ويجعل جسدها لا يكف عن المسير على امتداد مساحة الشرفة المعلّقة ،

..

هناك ،

في الدور الثاني ،

في العمارة الشاهقة، المطلة على الشارع الرئيسي !

هارموني

طائر اللقلق لا يحتار كثيرا ،إنه يقيس عمق الماء المناسب بطول منقاره، ويميّز بين أنواع السمك بألوانها ، وعندما يلتقط سمكة زرقاء يشرع فورا في التفكير في السمكة الحمراء ويرصد مكانها، وعندما يلتقطها لا يعود يكترث للأسماك الزرقاء، فلا يفكّر في متابعتها .

●●●

لا أحد يتابع طائر اللقلق وهو يحلّق ،

الجميع يراه يخب وسط الماء ،

هو لا يهتم لأحد ،

فهو يعرف أن لا أحد يصطاد طائر اللقلق .

●●●

إنه لا يحتاج إلى الكثير ليعرف ما يريد ،

فقط ما يريد ،

هكذا يفعل دائما طائر اللقلق .

●●●

الأسماك لا تنتبه لذلك ،

عندما تختفي سمكة حمراء، لا ينزعج باقي السمك الأحمر، وعندما يحدث نفس الأمر مع الأسماك الزرقاء، لا تغيّر بقية الأسراب

طريقها ،بل تضل تسبح في الجوار دون اكتراث ،

إذ ،

لا أحد يهتم للعدد ،

لا أحد يكترث للغائبين .

●●●

لا أحد يرى الأسماك وهي تسبح في الأعماق ،

الجميع يراها تقفز إلى السطح فوق الماء ،

هي لا تهتم لأحد ،

فلا أحد يصطاد السمك الطائر .

●●●

إنها لا تحتاج إلى الكثير لتعرف ما تريد ،

هكذا تفعل دائما أسراب السمك .

●●●

فإذا حق لطائر اللقلق أن يسبح في الفضاء ،

فإنه أيضا ،يحق للأسماك أن تطير في عمق الماء !

..

هكذا تم الاتفاق بين رحابة الفضاء المنعشة، وأحضان الماء الدافئة!

أرزاق

بادرت بإشارة من يدها لسائق التاكسي أن يتوقف، حالما لمحته يعبر الجزيرة الدائرية الصغيرة، والذي بادر بدوره فخفف السرعة وتوقّف بجوارها تماما . . .

أنزل زجاج الباب الأمامي المواجه لها، فانحنت قليلا وتأملت الداخل ولم تتكلم، ثم انزاحت قليلا وفتحت الباب الخلفي، صعدت بهدوء وجلست وأقفلت الباب، وعقدت يديها إلى صدرها وشرعت تنظر إلى سقف السيارة الجلدي الباهت ،

وعندما التفت إليها، مستفسرا، أهدته ابتسامة باهتة، وربضت في مكانها، في استكانة، كقطة عائلية أليفة .. .

أبدى السائق انزعاجا، لموقف يعرف أنه بدأ يتكرّر كثيرا في الآونة الأخيرة، فبادر بسؤالها عن وجهتها، وعن المكان الذي تريد أن تقصده ،لكنها صدمته بأن قالت له، إن هذا ليس من اختصاصه، ولا يحق له أن يسأل أو أن يعرف أماكن تواجدها، أو التي تريد وترغب في الذهاب إليها ! . .

وعندما قال لها بحدة، أن هذا من صميم عمله، فهي الآن داخل التاكسي، ومعنى ذلك أنها تريد أن تقصد مكانا ما، ومهمته إيصالها إلى هدفها المقصود، وفقا للأصول والقانون والمنطق أيضا ،

ابتسمت ل هو أفهمته بألا يحاول تبرير ما بدر منه ، وبلا مبالاة، ولبرهة، أحنت رأسها وتطلعت إلى الرصيف الجانبي والشارع أمامها،

وبسرعة خاطفة، فتحت حقيبتها وأخرجت ورقة نقدية، وناولتها للسائق، وهي تبتسم، ودون أن تقول شيئا ،

وبينما أخذ يتأملها مأخوذا بما يرى، خرجت من السيارة وأقفلت الباب وراءها، وانحنت على نافذة الباب الأمامي، ونقرت بأصابعها على الزجاج ،الذي أقفله السائق بضيق، منذ برهة، وعندما داس على الزر، بادرته بالقول، وهي تشير بأصابع يدها إلى جهة ما في الشارع، وعلى امتداد الرصيف :

● أنظر، أرأيت ذلك الرجل الذي يعتمر قبعة أوربية، ويطوّق عنقه بشال داكن اللون !

حملق السائق أمامه في حيرة، فأضافت :

● أعني ذاك الذي يحمل حقيبة جلدية بنيّة في يده اليسرى، ويضع يده الأخرى في جيب معطفه الأيمن !

فزادت حيرةالرجل، وتنهّد بعصبية ونفاذ صبر، وأراد أن يقول شيئا، فباغتت هو هي تشير بيدها :

● أعني ذاك الذي يسير على حافة الرصيف المحاذية لأعمدة الكهرباء، ألا تراها ؟!

وعندما نظر في نفس الاتجاه الذي أشارت إليه، أضافت قائلة :

● أنت طبعا، لا تعرف من يكون ، وتعرف أيضا أن ذلك لا يعنيك، لكنك بالتأكيد تعرف الآن، أنه لم يتمكن من رؤيتي، هه !. .

وأفردت قامتها ، واعتلت حافة الرصيف القريب ،

وسارت مع السائرين في الاتجاه الآخر ،

بلا مبالاة ،

كما ترائى لها أن باقي المارة يفعلون !

وعد، وحنين

أخذها حنين جارف إلى بعيد،

بدا لها كوميض، من نبض هادئ ووديع،

كضوء شمعة،

لا زالت، مع النسيم المنسكب من بين ظلفتي النافذة، ترف !

..

تجرّب حذائها الجديد، تعقد حزام فستانها، ترتدي القبّعة، تميلها قليلا، تحزم حقائبها جيّدا، تسدل الستائر، تطفئ الإنارة، تعبر الممر بتردّد، تقف لبضع لحظات، تتفحّص جيوبها، تغلق الباب وراءها، تلتفت إلى الخلف بحذر، تترك آهة واحدة، وترحل في صمت ،

إلى ذلك الحنين الجارف،

الذي سيأخذها الآن إلى بعيد،

الذي بدا لها كوميض يلوح من بعيد، مشعا، صافيا، كما اعتادت أن تحلم ب هو تتمناه .

..

لا زالت الذكرى معها،

ولا زالت تترقّب ،

..

لقد وعدوها، وصدّقت وعودهم أو أرادت أن تصدّق،

أعني بعض ممن صادقتهم ذات يوم، وقالوا لها :

● سيري إلى هناك، سيري ولا تترددي، إن السعادة الآن، ترفل بحلتها هناك، على ذاك المنحدر الذي يقود من هنا إلى تلك الدروب القريبة !

حيرة بائع السجق

سار على الرصيف بتمهّل ،

وتوقف في منطقة مزدحمة في منتصف الشارع ،

دخل قلب الزحام، حيث صراخ الباعة وضجيجهم المعهود ،

تأمّل المارة لبرهة ،

فجأة لمع في ذهنه برق خاطف، خاطر نزق أمسك بخيوطه، فابتسم وشرع في التنفيذ، رفع عقيرت هو قال :

● أنا أعرف جيدا ما كان يدور في الخفاء .

ترك الباعة بضاعتهم، توقف الصراخ وخفت الضجيج ،

تجمّع المارة ،

توقفت السيارات في الشارع الواسع العريض، زعقت المنبهات، تشكلت طوابير، و. . صار زحام أخر .

●●●

كاد يصاب بالاختناق، حاول كسر الطوق المحيط به، لم يتمكن، فكر في حل، لم يجد غير أن يكسر ذلك الطوق بكلام معاكس، لم يجد غير أن يصرخ قائلا :

● أنا لا أعرف ما كان يدور في الخفاء .

●●●

على الفور ، تفرق الناس إلى أي مكان ،

انفض الزحام ،

وعلى عجل، تفككت الطوابير، وانخفض صوت المنبهات .

●●●

في الزاوية المقابلة، هناك،

وقف الثلاثة، يتأملون ما يحدث أمامهم ،

وعلى مقربة، بائع السجق، يراقب عن كثب، ما يدور في الجوار ، ينفخ النار، ويقلب القطع في الصحن النحاسي الساخن بانتباه .

●●●

نظر بائع السجق حوله، تعجّب وفضّل الصمت .

سأل الأول :

● لماذا يهرع الناس، هكذا، لمعرفة ما كان يدور في الخفاء!

سأل الثاني :

● لماذا يتفرق الناس، هكذا، يأسا منهم من معرفة ما كان يدور في الخفاء ؟!

ابتسم الثالث، عقد يديه إلى صدره، لم يعلّق، واكتفى بالصمت والتأمّل !

في الجوار، وعلى مقربة،

وفي حيرة بدت ظاهرة ،

تسأل بائع السجق بين هو بين نفسه ، وبغير اهتمام لما يحدث أمامه، وهو مستمر في نفخ النار، وتقليب قطع السجق في الصحن النحاسي الساخن :

● أنا لا أعرف لماذا تدور الأشياء أصلا، في الخفاء ؟!

أقوالها

تتبئ الحركة اليومية المعتادة، عن تواجدها بالخارج، ويرتفع الضجيج ،تبعا لذلك رويدا، رويدا ،

..

أقوم أنا وبفرح غامر ،بإزاحة ستائر النافذة قليلا ،

أشرع الظلفتين، وأدفع بهما إلى الخارج ،

يتسلل شعاع الشمس إلى الداخل، كعادته ،

بدون استئذان ،

..

أفرّك أصابعي، وأقرّر أن أضع أصيص الورد على القاعدة الرخامية للنافذة، والتي لا تتجاوز في ارتفاعها، مستوى الخصر ،

..

أعود إلى المطبخ، وأعد القهوة ،

على يمين أصيص الورد أضع الفنجان، وعلى يساره أضع علبة السجائر ،

..

أسحب كرسيا من جوار الطاولة في وسط الحجرة،

ألصقه بجدار النافذة ،

أختار كتابا من الرف المقابل ،

أجلس بهدوء كما يفعل الحكّماء،أقلّب الصفحات ، وأشرع في تأمّل الكلام المكتوب !

ذلك ما يحدث في اليوم الواحد ،

وذلك ما أكرره ،

دون كلل،

في أغلب الأيام !

. .

قالت ذلك، على طاولة الغذاء مع صديقاتها،

قالت ذلك، ولم تعر أي من الجالسات إهتماما لما تقوله، ولما اعتادت دائما على قول هو تكراره ،

قالت ذلك، وهي تداري أملا بدا لها دائما، صعب المنال،

قالت ذلك، فيما نسمات منعشة بدأت تهب، مترافقة مع مشاغبات العصافير على الأغصان المنتشرة في الحديقة الصغيرة، مما جعلها تدفع ما تداريه إلى التراجع، مقتنعة بأن الاكتفاء بالاتكاء على القاعدة الرخامية الملساء الباردة، هو أفضل ما يمكن أن يحدث الآن ،

إذ أن ذلك هو ما يحدث في اليوم الواحد ،

وذلك ما ستكرره ،

دون كلل ،في أغلب الأيام !

المتهالك

تحلّقوا أمامه، في أناقة ملفتة للنظر، وبدون أن يبدوا له أي اهتمام، وشرعوا في الحديث والضحك وتبادل الابتسامات .

التصق بالجدار، مداريا خجلا لم يستطع منه فكاكا، إذ لم يستطع إخفاء ملابسه الرثّة وحذائه القديم، رغم تمكنه من إخفاء تلك الزجاجة، ذات السائل المحلي الرديء .

للحظة، أدرك أن حديثهم، أو جزء منه على الأقل، يستهدفه مباشرة، بل حتى ضحكاتهم، وابتساماتهم، كانت تستهدفه هو بالذات، ولو أنهم حاولوا مدارات ذلك قدر الامكان، بتصنّع الالتفات في كل الاتجاهات، دون تركيز، مع أن كل ذلك لم يخفي عنه خبثهم ووضاعتهم، التي يعرفها جيدا .

● ● ●

بعد انصرافهم بقليل، شعر بأنه يكاد ينفجر غيضا وغضبا، وعندما راقب الجوار، وتأكد من عدم تواجد أحد، أو حتى قريبا من مكانه، على حاشية الرصيف في الاتجاهين، تلفت، بلا تردّد، إلى الجدار المتهالك وراءه، وقال :

● أرأيت، إنهم يسخرون، بل أنهم يهزؤون، ولم يكفّوا عن إيلامي، حتى انصرافهم !

فقال الجدار بصبر تعوّد عليه من محاوراته الغرائبية الكثيرة معه:

● لا عليك، لا عليك من كل ذلك .

فشعر بحزن ظاهر واستسلام مهين، ولم يجد ما يقوله سوى :

● إنّي أجد ذلك مؤلما .

عند هذا الحد، تجهم الجدار لانتهاك هدوءه أكثر من اللازم، ولكن حزنا مفاجئ تسلل إلى أعماقه، ولم يرد إظهار عدم قدرته على التعاطف، رغم الود القديم المتبادل بينهما، فرد بعصبية :

● لا عليك، أيها المتهالك، وماذا يضيرك أن تتألّم قليلا ،

وعندما لاحظ الجدار أن الرجل قد طأطأ رأسه، ولم يعلّق، ربّت على كتفه مطمأنا، وقال في مودة ظاهرة في طريقة كلامه :

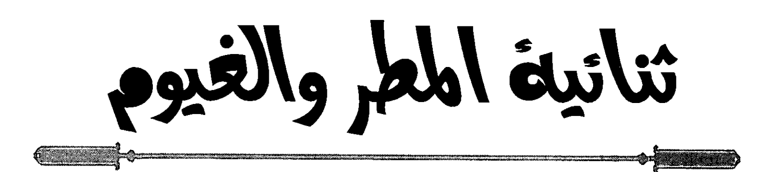
● لا عليك يا رجل، لا عليك، فالألم لا يضير .

● . .

● تجلّد، تجلّد أيها المتهالك وانصرف بهدوء كما تعوّدت أن تفعل .

ران صمت فأضاف :

● وهذا أفضل ما يمكن أن تفعله الآن !


ثنائية المطر والغيوم

1 بداهة

وجه السماء بدا قاتما ،

الغيوم شرعت في التراكم، لكن المطر لم يهطل بعد ،

لا أحد يهتم ،

لا احتياطات تم اتخاذها حتى الآن ،

تعجّب للأمر، وتساءل :

● لما لا أحد يهتم، ولا أحد يستعد ؟!

ضاع تساؤله في الظلام، لم ينتبه له أحد ،

تأمّل وجه السماء،

الغيوم تتراكم، ولسعة البرد تشتد، وبعض الرذاذ يمازح الوجوه .

فتح مظلّته بغير اكتراث، وحجب بها الأفق ،

وعندما تبيّن له أن كثير من الوجوه مالت نحوه،

وأن كثيرا من النظرات الفضولية قد اتجهت بتلقائية إلى المظلة،

ابتسم لنفس هو ردّد باقتناع في أعماقه :

● علّهم لا يعرفون ماذا سيحدث ،أجل كما يقول الحكماء، " هذا العالم قد تجرّد من البداهة " !

● فهؤلاء المنهكون الطيبون ،عندما تتراكم الغيوم أمام أعينهم ،قد لا يتوقعون ابدا، أن المطر وشيك الهطول، وأن الرذاذ سيصافح وجوههم في نزق محبّب، وفي أي حين .

2 يقين

دارت كؤوس الشاي لعدة مرّات، ودار معها الحديث في السياسة ومشاكل المنطقة، مال قرص الشمس نحو الغرب، واستعد الجميع لمغادرة المكان .

● ستعود المياه إلى مجاريها، ذات يوم .

هذا ما صرّح به الشيخ، إعلانا بالإذن بالانصراف، و هو يرمق الجالسين أمامه، بنظرة تطلب الدعم والتأييد !

● لكن مجاري الوديان لا زالت جافة !

هذا ما قاله أحد الشباب، عندما وقف مستعدا للانصراف، ومحاولا، بخبث، إحراجه .

رمقه الشيخ بنظرة ثاقبة، تنهّد متصنعا الغضب، وقال بحزم :

● أنظر إلى أعلى ،أيها الفتى، ألا ترى، ستتلبّد الغيوم في أي وقت، وسيهطل المطر قريبا !

وأخرج علبة النشوق من جرابه ،

فتحها وأخذ جرعة ،

استنشقها بصوت واضح، وشرع يعطس ،

فيما تناثرت ابتسامات الحاضرين، وشرعوا في مغادرة المكان، دون إبداء أي تعليق !

ذرّات الرمل، التي تحركها

كانت قريبة ،

على مرمى الهدف ،

هناك قرب التلّة المواجهة ،

كدت أن أفرغ رصاصاتي في بطنها، لكنها حدجتني بنظرة مرعبة، جعلت أصبعي يرتخي عن الزناد، ويحيد جانبا .

باغتني الموقف، نظرت خلفي، لم أبتعد كثيرا عن مكان السيارة، والتي لم ينطفئ محركها بعد .

اقتربت منها، متحديا ،

لم تجفل، اهتزّ ذيلها بحركات متسارعة، ونصبت أذنيها في شموخ، وتقدّمت لخطوات في تحد لا تخطئه العين ، وباغتتني بالقول :

- لا تفعل هذا .

وأشارة بهزة من رأسها، إلى البندقية التي كانت بين يدي، وأضافت دون انتظار ردا منّي :

- ستخسر كل شيء .

وقفت مذهولا ، ومصعوقا مما أرى، واقتربت ناحيتي وأضافت :

- الصحراء بدوني، لا تساوي شيئا .

لم أجفل، لكنني تجمّدت في مكاني، وكأنّني أصبت بشلل مفاجئ،

ولم أعرف ماذا أفعل ،

● بل لن يكون لها معنى بعد اليوم، إذا تجرّأت على هذا الحمق .

وأضافت بصوت خافت، لكنه مرعب :

● صدّقني، إنها ستصبح قفرا، ولن يكون لحياتك فيها أي معنى .

. .

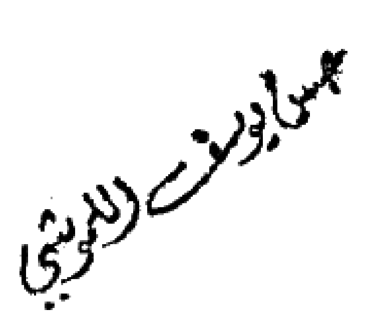
كدت أجن مما أرى وأسمع ،

عدت مسرعا إلى السيارة، وخبّأت البندقية في الصندوق، خلف كرسي السائق، بعد أن لففتها في قطعة قماش، ووضعتها في الجراب الجلدي المعد لها .

وعندما لاحت منّي التفاتة عفوية، عبر زجاج باب السيارة الخلفي، اندهشت، إذ لم أرى شيئا يتحرّك في الخارج ،

أعني تلك الغزالة، التي كانت تحدثني محذّرة ،

وعندما تاهت عيناي في الجوار، لاح لها الأفق مقفرا، إلا من ذرّات رمل، تحركها ريح خفيفة، بدأت تجوب المكان في هدوء وصمت مرعبين .



هذيان آخر العمر

جلس وحيدا على الكرسي الوحيد، في الحديقة الصغيرة، النائمة على حزنها وقلت حيلتها .

تأمل الأفق، كعادته عندما يريد الجلوس ليسترخي ويرتاح،

باغته الغمام، ونسمة باردة لامست جسد هو جعلت رموشه ترتعش، فأيقن، كما يحدث معه احيانا، أنه لا بد أن يقول شيئا، وإن كان تنبه للحظة إلى خلو المكان ووحشة الصمت وهدير السكون المطبق .

وقف متكأ على عكازه، أحس بأن روح مجنونة قد تملّكته تماما، وأنها تدفع به، دون تفكير في العواقب، إلى أن ينفلت من عقال الحكمة والرزانة، فعزم بدون إبداء أي تردّد، على أن يجتاح الفراغ أمامه، وأن يقول مخاطبا الأفق البعيد، الذي بدأت معالمه تتشكل كأشباح غائمة :

- دعوا المحبة تحميكم، فالعواصف لا بد أنها قادمة !

قالها، وهو يعلم الآن أنه لم يكن يخاطب أحدا، وأنه لا يرى أحدا في الجوار، ولا أمل في قدوم أيّا كان، وإن تبادر إلى ذهنه خاطر، مرق بسرعة ولم يعد، كحلم مباغت قصير، في قيلولة خاطفة، بعث فيه أملا في حدوث شيء ما ، إذ كان متيقنا بعد ذلك من أنه سيرى الجموع، أجل الجموع، وهي تخب، منكّسة الرؤوس، في اتجاهات متفرقة ودروب مضنية ومنهكة ومتباعدة، ومسالك موحشة ومقفرة ولا تكاد ترى أن لها نهاية أبدا !

القطار يرحل بعيدا

اكتظت المحطة بالمسافرين، تعالى اللغط واشتدت الجلبة وعلى الزعيق، وتداخلت النداءات في خلط غريب .

انتظم المسافرون في طوابير طويلة، متعرّجة ومتموجة ولا تكاد تستقيم، استعدادا لقطع التذاكر أو الصعود إلى عربات القطار الذي بدأ في الاقتراب، مطلقا نداءات الوصول وهي تتناهى بوضوح تام من بعيد .

●●●

عمال المحطة بملابسهم الزرقاء المميّزة والعلامات المعلقة على الأذرع، لا يتوقفون عن الحركة في كل الاتجاهات ،

يحملون الحقائب ويوجّهون المسافرين ويدلّونهم على أماكن المقاهي والأكشاك، ودورات المياه المنتشرة عبر ساحة المحطة الواسعة والمترامية الأطراف، والمزدانة باللوحات الالكترونية المرشدة لمواعيد الوصول والمغادرة، ولأسماء المدن والقرى التي سيمر بها أو يعبرها القطار، ويقومون كذلك بأعمال النظافة، كلّما دعت الحاجة إلى ذلك.

●●●

ذهل المسافرون وهم يشاهدون القطار ينظر إليهم بهزأ وسخرية، ويعبر المحطة بدون أن يتوقف كما كان متوقعا .

بل الأدهى، أنه أخذ يقهقه بصوت عال، عندما اجتاز المحطة

بعد عدة مئات من الأمتار، وعندما ابتعد لمسافة جعلته يبدو صغير الحجم لمتابعيه بعيونهم الذاهلة ووجوههم المصعوقة، ابتعدت معه بقايا الدخان والغبار والضجيج، وبدت القضبان المعدنية، مصقولة ومنتظمة في خطوط متوازية بدقة بدت مذهلة ،

زادت من ذهول المسافرين وهم يرقبون المشهد أمامهم، كحلم مزعج لا يريد أن يتوقف، كما يفعل القطار في هذه الأثناء، تماما !

بعض مما يحدث الآن

وأنت تلوذ بصمتك المحبب، بانتظار حكاية مسائية قد تأتي في أي حين،

وأنت تلوذ بالمواقد، وتبحث عن ضوء الفنار الأصفر الباهت، في هذه الليلة الشتوية الطويلة،

وأنت تعالج وحدتك بنكث جراب الذكريات البعيدة ،

لابد أنك تعود إلى ما رأيته أو سمعت عنه،

إذ لا بد أن أحدهم حدثك ذات مساء ملبد بالغيوم ، قائلا :

● أجل ،أنت لا تذكر أن النهر تدفّق ذات حين، وفاجأ الجميع، ولابد أنه أضاف مسترسلا :

● إن ذلك حدث فعلا عندما بدء قرص الشمس في الاختفاء، حيث بدأ الهدير يتدفّق من مكان مجهول، وللحظة اصطبغ الأفق بالأرجوان، وابتدأ النواح خافتا من بعيد، وشرع في الاقتراب لينسكب على الضفتين وحتى مشارف القرية .

بل أنه أكد لك بحماس :

● هه، انتبه يا رجل لما سأقول، أنت لا تذكر كيف تقاطر الرجال واقتربت النساء وتجمّع الشيوخ وتحلّق الأطفال كزهر الياسمين، وابتدأ موسم قصير لفرح خجول، أطل على غير توقع .

وعندما لاحظ منك اهتماما، غمره سرور كان ينتظر هو أضاف :

● لكن لابد لك أن تعرف أنه عندما يتحدّث النهر، تنهمر الأمنيات رذاذا منعشا، ويتسرب عطر الغابات، ليغمر فضاء الحقول المترامية الأطراف، ويجعل أغصان الأشجار تهتز طربا، وترقص السناجب في الجوار على إيقاع نشيج الأغصان المتدلية، وهي تتمايل وتهتز وتخفق، كنبضات قلب لجسد غمره الوهن وأعياه الإرهاق .

ولم يتوقف عن الحديث، عندما تأكد له إنشداهك لما تسمع :

● حدث هذا الأمر كثيرا مع آخرين، قد تعرفهم وقد لا تعرفهم، فالأمر سيان، أليس كذلك ؟!

● . .

● أعني أن هذا الأمر يحدث منذ سنوات بعيدة، حتى كادت أجيال كاملة أن تنسى مواسمه، إلا ما يسرده شيوخ القرية وعجائزها المسنّات في حكاياهم المسائية،

عندما يلوذون بالمواقد وضوء الفنار الأصفر الباهت، في ليالي الشتاء الباردة والطويلة . .

كما تراه يحدث الآن !

يقين

تمهّل في سيره المترنّح، تأمل المارة والسيارات ،

لم ير أحدا يعرفه في الجوار ،

حدّق في الفراغ أمامه،

رمى القنينة الفارغة على مدى انبساط يديه،

لذعة المذاق لا زالت تلسع طرف لسانه، وتنشر الحرقة في أمعاءه حد القرقرة،

الصمت يطبق على البراح الممتد بعيدا ،

الصمت، كائن ودود لا يتدخل فيما لا يعنيه ،

تأمل الفضاء الأرجواني لبرهة ،توسّط الطريق وسار على الخط الأبيض المتقطّع، الفاصل بين الاتجاهين،

النسيم يهجم عليك فجأة بدون استأذان ،

إنه يلهب أهداب عينيك، يخرجك عن طورك وينزع عنك رداء الوقار المزيّف، وينقلك على بساط سحري إلى دنيا الجنون والرغبات المنفلتة ،

النسيم كائن مزعج، لا يتركك وشأنك ،

..

وما بين ضجة الصمت وتدفّق النسيم، قرّر فجأة أن يقود العالم ،

أجل، أن يتحكّم في كل شيء، وليحدث ما يحدث ،

انتعش لنضج الفكرة،

ولطراوة الضوء،

ولين المسافات ،

..

أرهف السمع لحفيف الأغصان،

العصافير تنقر جدار السماء البعيد،

عبث مجاني يلوح في الأفق،

..

رفع رأسه عاليا، دلق الهواء في صدره، تقدم إلى الأمام بخطى وئيدة، ونفخ بكل قوة، محدثا نفسه بصوت مسموع :

● لا وقت للحزن أيها الكاهن !

● ..

لفت ذلك لبرهة، انتباه المارة والسيارات، لكنهم واصل وسيرهم بهدوء بعد حين، ودون اكتراث ،

● أنت الآن الريموت كنترول !

قالها منتشيا ودون أن يكترث لأحد أو أن ينتظر جوابا ،

..

وللحظة، لا عنوان لها ،

توقفت الحركة في الطريق تماما،

توقف المارة عن الأحاديث الجانبية ،

توقفت عجلات السيارات عن المسير ،

توقفت أصوات المحركات وهديرها ،

توقفت المنبهات عن الاحتجاج والتنبيه ،

. :

لقد تعثّر على غير ما توقّع في المطب الإسمنتي الباهت الملامح، المنبسط دونما خجل أمامه، في الطريق العام ،

حيث تناثرت بقع دم، هنا وهناك،

وبدا لونها أحمرا قانيا، مثيرا للفضول والانشداه !

ومضات

شاهدته لأكثر من مرة، على هذا الشاطئ ،

انشغلت به كثيرا، ولم تداري ذلك عن نفسها ،

..

لم يلاحظ ذلك،

واستمر في حواره الممتع مع الرمل الطري والبحر العابث ،

استمر في مشاكسته للموجات العنيدة، بإصرارها الغريب والمستميت على مداعبة رمال الشاطئ،

تلك الموجات المتهالكة، والتي لا تعترف بالهزيمة، ولا ترغب أبدا في الاستسلام لنداءات النسيم المسائي الهادئ، أو لبقايا المد المنهك الأنفاس ،

و هو يرتمي على الرمال الناعمة ،

..

ذات يوم، كانت على مقربة من مكانه ،

ذات يوم، كان على مسافة احتضان الموج لرمال الشاطئ ،

ذات يوم، فاجأت هو هي تخطو على الرمل ،

قرب أول موجة تتدحرج بجواره،

..

فاجأت هو كأنها قالت :

● صباحك رذاذ منعش يا أيها المتألّق !

..

توقف الموج عن التدحرج ،

ابتعد النسيم، صوب تلك الجهات النائية ،

استكان رمل الشاطئ، لهدوء حذر ،

فبدى لها :

وكأنه ألقى بجسمه في الماء ،

وكأنه دفع بزعانفه بقوة ،

وكأنه أمال جذع هو هز ذيله ،

وكأنه ابتعد عن الشاطئ ،

ولقد بدا لها أخيرا وكأنه اختفى من على السطح ،

وغاص إلى هناك، في الأعماق ،

ولم يخرج ثانية أبدا !

فالس

كادت السيدة، وهي ﮯ كامل أناقتها وأبّهتها، أن تتعثّر وتقع، بعد أن أنهت حديثها عن رقصة الفالس،

حدث ذلك، عندما كانت تحادث صديقاتها، ﮯ حفل العشاء الفاخر، الذي أقامته لهن، توافقا مع مناسبة عيد ميلادها،

..

كادت السيدة، بأناقتها وأبّهتها، أن تتعثّر وتقع،

وهي تنتقل من حلقة إلى أخرى، ﮯ حماس اقتضته المناسبة، تتهادى ﮯ استعراض، وتنثر بعض من حكاياتها، هنا وهناك، عن مدى ما يمكن أن تمنحه رقصة الفالس من الشعور بالدفء والحنان، للراقصين والراقصات وتستقبل الابتسامات، وإشارات الموافقة والاعجاب والانبهار،

..

كادت السيدة، وهي لا زالت ﮯ كامل أناقتها وأبّهتها، أن تتعثّر وتقع،

بعد أن اقترب منها أستاذ علم النفس ﮯ جامعة المدينة، الذي همس لها و هو يبسط يديه توددا، وداعيا إياها إلى تلبية دعوته بمشاركته الرقص، مؤكدا :

● قد أكون متردّدا، ولكني أجد نفسي مجبرا، بعد أن رأيت حماستك للفالس، على أن أقول لك، أنه لا أحد غيرك، يستحق المزيد من الدفء والحنان !

وعندما لاحظ بريق عينيها، وأن اللهفة تكاد تقفز من بين أهدابها المرتعشة، تشجّع وجازف بالقول ،دون تردّد :

● وبما أنّك تستحقين كل ذلك، هل يحق لي أن أطمع في قليل منه معك، أعني بمشاركتك الرقصة التالية ؟!

. .

كادت السيدة، المكتملة الأناقة والأبهة أن تتعثّر وتقع،

إذ شعرت أنها تنسكب في وهج عينيه، وتغرق في طراوة ودفء خطواته الجريئة، وتشهق من شموخ قامته المضمّخة برجولة، افتقدت مذاقها منذ زمن بعيد !

وعندما أسند أصابعها على ظاهر يده، وقادها بهدوء إلى حلبة الرقص، حيث ستشرع أنغام الفالس، بعد قليل، في الانسكاب بهدوء، هي الأخرى، وتغمر المكان بدفء وحنان لا يمكن مقاومتهما بأي حال،

غامت المرئيات أمام عينيها، وتدفق نهر من البهجة، غمر كيانها، وجعلها تسبح رغما عنها، في فضاء لا حدود له، مضمّخ هو الآخر بأنغام الفالس، الذي سيشرع حقا وبعد قليل، في الانسكاب بهدوء، ويغمر المكان بـ . . . !

ما قد تبوح به الشمس

ساعة الظهيرة

وأنت تقف كالعادة،

وحيدا، شاردا، تتأمل الأفق الأرجواني بكسل ولا مبالاة ،

ومحاولا ترتيب أفكارك، والخروج بفكرة ما، تخيرك بين ترك البيت والذهاب بعيدا ، أو الاستدارة، والتوجه مباشرة صوب حجرتك، حيث تغلق خلفك الباب، كما تعودت، وتشرع في التثاؤب إذا لم تسمع نداء أحد .

. .

فلا تدع الشعاع يقرص عينيك، وانت تحدّق إلى هناك، واصغ جيدا الآن، فهذا ما قد تحدثك به الشمس، ساعة الظهيرة كل يوم، والقرص الملتهب، يتربع بلا مبالاة في كبد السماء ،

. .

إذ علّها تقول لك :

● أشعل سيجارتك، الآن ،

● . .

● افعلها، كالعادة، واتكئ على أقرب عمود كهرباء يصادفك، في بداية الزقاق الكئيب ،

● . .

● فلن يزعجك بعد اليوم، صفير القطارات، التي لن تجيء أبدا ،

● . .

● ولن تقف بزهو على رصيف المحطة، كما كانت تود أن تفعل ،

● . .

● أنزع رباط العنق، وعدّل من ياقة قميصك، ولا تهتم بتسريحة شعرك التي أفسدتها الريح الجنوبية ،

● . .

● لا تبحث عن قلّامة الأظافر ،إن ذلك ليس مهما على كل حال،

● . .

● فقط، تفقّد هاتفك المحمول، وتأكد من شحنه، كي تستطيع رصد ما يردك من مكالمات،

. .

وإمعانا في اللهو معك لبرهة، لعلها، أيضا، ستقول لك مشجعة :

● والآن، والشمس تكاد أن تشعل اللهب، وأن تحرق الأفق، جاء دورك حقا، فألعب لعبتك القديمة لوحدك، ألعبها بدون وجود أبناء الجيران إذا استطعت .

وأكدّت قولها بطرح مفاضلة :

● لك أن تختار الاتجاه الأنسب، يمينا أم شمالا، فالسيارات القادمة من المدينة ،

باتجاه الريف والضواحي، ربما تكون الأكثر عددا .

ودعّمتها بإيضاح :

● لذا عليك اختيار اتجاه السير ناحية اليمين، أما إذا ضننت أو

خالجك الشك ،

أن القادمين من الريف والضواحي هم الأكثر عددا، فما عليك حين إذ، إلا أن تختار الاتجاه الآخر .

ولمعرفة رد الفعل على كل ما قالته، أضافت من جانبها بثقة :

● أعني هكذا يكون الأمر بديهيا أكثر، ولا يشوبه أي تعقيد، ولا يميل إلى الخداع والمراوغة، كما قد يظن أصدقائك، إذا مرّوا في الأثناء، وذلك ما قد تبوح به لنفسك، وما تود أن تراه، وما قد يحدث عادة في أوقات الفراغ !

❊ ❊ ❊

وهذا ما قد تحدثك به الشمس، في ساعة الظهيرة، كل يوم، والقرص الملتهب، يتربع، بلا مبالاة، في كبد السماء ،

أعني، قبل أن تشرع أمهاتكم في الصراخ، لتستدعيكم، على عجل، لتناول وجبة الغذاء، قبل أن تبرد !

إختراق

سمعت النداء،

ضعيفا،

واهنا،

يأتي من بعيد، كحلم شفّاف يباغتك أثناء النوم :

● أين أنت، يا أيقونة الأحلام، جادليني بهدوء ،أو اتركيني أتلذّذ بشكي، وإذا أردت أن نصل معا ،فا لنهدم قناعاتنا البالية، ولنتقدم خطوتين ،نحو درب قد يمتد طويلا إلى آخر الأفق ، وقد لا تلوح له نهاية .

* * *

تناهى إلى أسماعها، الصوت مرة أخرى، مؤكّدا :

● الأمر لن يكون هيّنا كما تعلمين،

● . .

● أعني أن نافذة البوح، تبدوا الآن شفافة دائما ، وهي خجولة في كل حين ،أليس كذلك ؟!

. .

لم تجب،

بل لم تجد الشجاعة كي ترد،

فاكتفت بالانتظار، والرعب يكاد يخنقها وهي تسمع ما يقال، ولا تعرف من أين يأتي كل هذا، فاكتفت بالإصغاء والحيرة المضنية والوجل المقلق يسدلان ستائرهما على أفق خيالها المرعوب، وهي تسمع :

- لنؤكد ذاتنا إذا ،
- . .
- ولنخترق معا جدار اليقين، ونهدم هذه الأسوار البالية ولا نتردّد!

دوّامة

تحـدّث كثيرا، انطلق في الشرح والتصوير اللفظي، بسلاسة متناهية، وكأنه تدرّب على ذلك . .

● ● ●

نظرت إليه مبتسما وموافقا، ومترقبا للمزيد من القول، فشبك يديه إلى صدر هو نظر أمام هو قال :

● إذ ذاك، حقا، ستدعوك الشوارع إلى أن تعبرها مبكرا، ومنذ لسعة نسيم الصباح الأولى وما يلي ذلك من وقت، تشرع فيه الشمس عادة، في تسلّق عمود السماء .

. .

وأضاف مبتسما :

وعندما يباغتك ضوء الشمس، في بداية النهار، أيها الحكيم، وأنت تعبر الطريق باتجاه الساحة العامة، حيث يرتفع ضجيج الباعة، وعبث الأطفال، وأحاديث النسوة، التي لا تنتهي .

● ● ●

لم أعلّق، واكتفيت بأن ابتسمت له مرة أخرى، مستدرجا شروحا أكثر وضوحا، فانطلق مؤكدا بحماس وملوحا بيديه :

● هي لا ترى ضيرا في ذلك، بل ولا تبدي قلقها من الزحام وقت

الظهيرة، فهي ترى أنه حق المارة، وربما حقهم الوحيد، الذي تعودوا على حدوثه كل يوم .

●●●

هكذا همس لي،

وواصل الهمس و هو يبتسم في زهو لا شك فيه،

ونحن نخطو على رمال الشاطئ، ذات ظهيرة منعشة وأكثر سخاءا، بابتسامات المندلقات على صفحة الماء، في حضن الزبد والرذاذ ، وفي غفوة الموج المتهالك تعبا، على الصخور الصامدة أبدا،

مداريا حديثا آخرا،

لا يرى له معنى، قبل اقتراب الغروب، وعبث الأرجوان بالأفق البعيد !

متواليات الليل والنهار

متواليات النهار، الذي كاد أن يتوارى

..

كاد النهار أن يتوارى ،

كادت الطرقات أن تغمرها الوحشة ،

كاد الصمت أن يقبض على المكان ،

كادت نبضات قلبه أن تخرج إلى العلن وتخفت ثم تتوارى، ثم تتوارى وتخفت، كقطار موحش، يعبر الأفق بحزن لا يبين .

● لا يوجد عذاب، أكثر إيلاما من هذا الوهن المقيت، والانتظار اللا مجدي .

..

قالها، مواسيا نفسه، وقد أطلق زفرة، ورمى عقب سيجارته برعونة، على أديم الأرض ،

الأرض التي تكاد تصهرها أشعة الشمس الغاضبة ،

ذلك الغضب الذي جعله يركل الهواء أمامه، ويغادر المكان في انكسار، كنخلة عجوز، تصارع الريح في صمت قاتل، لم تنتبه له أي من أشجار النخيل المصطفة في انتظام على امتداد الشارع الطويل، والتي كانت ربما، هي الأخرى، في انتظار شيء ما، تترقّب أن يحدث في الجوار، ولكنه لم يحدث .

متواليات الليل، الذي كاد أن يقبل

كاد الليل أن يقبل متعجّلا كعادته الرعناء ،

كادت الظلمة أن تغمر المكان، كنهر غاضب ،

كاد الوهن أن يطوي أشرعته، في يأس قاتل ،

كادت ظفائر شعرها أن تهرب من قيودها ،

● يا للألم، أهذا ما تبقّى لي حقا ؟!

● ألا يوجد في هذا القفر الموحش، غير الغياب والصمت والانطفاء؟!

● ألا توجد بارقة أمل، يمكن للمرء أن يتشبث بها، ولو خداعا ؟!

● أهذا ما تبقى لي حقا، في جراب هذا الوطن المسروق ؟!

قالت كل ذلك، ولم تنتظر جوابا، بل شرعت في تأمل الشارع العريض، وتستعد للعبور إلى ضفته الأخرى، كي تغرق على عجل في الصخب والزحام، مطلقة دندنة حزينة، لا تكاد تبين إلا لها، راقت لها في ذلك المساء القاتم الكئيب .

وللحظة، فركت أصابعها الشاحبة المقرورة، وأسكنتها في جيوب معطفها الملتف حول جسدها المنهك المكدود،

جسدها الذي بدا بعد ذلك بلحظات، يلوح مبتعدا ذابلا، كورقة دفلى حزينة، بانتظار مطر لا يريد الهطول .

متواليات النجم، واشتعاله

. .

توارى النهار حزينا، وهو يطلق زفرة ،

وأقبل الليل مستبشرا، وهو يطلق آهة ،

. .

اخترق الأفق شهاب مارق، لوهلة ،

ثم ما لبث أن انطفأ الوهج في صمت ورهبة .

. . اشتعل نجم، وتمادى في الاشتعال، حتى غمر الفضاء ضوء، كاد ينافس ضوء النهار، الذي توارى منذ حين !

ارتباك

كان المساء شاحبا ،

كان الأفق ينصت بانتباه إلى لا شيء ،

كان الرمل ناعما، ودودا، في استلقاءة تعوّد عليها كثيرا ،

كان النخل متلاصقا، يبحث عن حنين ،

..

لم أفهم شيئا مما كان يقوله، لكنني تابعت وهو ينثر المزيد من القول، فأضاف بعد أن دلق في جوفه جرعات أخرى من عصير قلب النخلة :

● قد يباغتك الشرود، وقد يرتهنك الظل ،حافيا ،إلا من دمعتين !

فسألت، مصعوقا بما سمعت :

● ماذا ؟!

وعندما لاحظت أنه نظر ناحيتي ولم يجب، بل أنه بدلا من ذلك استدار ناحية الدن وسكب في الإناء الزجاجي ما تيسّر ،تساءلت، رغم أنني لم أفهم شيئا مما قال :

● أكل ذلك يحدث، وهكذا، دفعة واحدة ؟!

● أجل، كل ذلك يحدث، وهكذا، دفعة واحدة!

وأضاف بعد أن أثنى ركبتيه، ودلق في الإناء، المزيد من الشراب :

● أجل يا رجل، يبادلك الأفق حديثا شاردا لا ظل له، ويزعم لك أن الأمنيات الطيبة ستتحقّق قريبا، حتى وإن كانت لوحدها لا تكفي، ولذا يجعلك تهرول حافيا ولا تستطيع أن تطلق دمعتين من سجنهما في المآقي، ويدعوك إلى عدم الانزعاج، ويؤكد لك أن كل شيء سيكون على ما يرام !

فتساءلت مرة أخرى، علّني أطيل الحديث، في محاولة يائسة لألتقط رأس خيط، كما يقولون، يفهمني ما يدور في رأس هذا الرجل، وما الذي يريد أن يصل إليه :

● ماذا، كل شيئ سيكون على ما يرام ؟!..

● فكيف لا تدعوه إلى أن يدلق في جوفه ما تيسر، مع بعض الذكريات القديمة، والتي لا زالت عالقة في أعالي الجبال ؟!

فعلّق منتشيا :

● لا عليك، ليس من الظروري أن تفهم، يكفي أنك استمعت، وتساءلت، وهذا هو المطلوب،

وأضاف بعد لحظات صمت قصيرة :

● لا عليك، لقد كان حديث شراب فقط، وعلى شرف هذا المعتّق !

وأشار بأصابع يده المرتعشة، إلى الدن الذي بدا مائلا على أحد جانبيه، منتشيا، هو الآخر، فيما ترائى له !

وفي لحظة نشوة غامرة، تأمل ذؤبات سعف النخيل، وهي تهتز قليلا، وتصدر صوتا يشبه حفيف الزواحف الصغيرة، وهي تتسرب من بين الأعشاب اليابسة، وقال :

● دع النخيل يداعبنا، فليس له من رفيق، هذا المساء !

سر الأسرار

الأول، بثقة وحماس :

● أحيانا تبدوا الحقائق والمعلومات عند إظهارها للملأ، مؤلمة جدا !

الثاني، مؤكدا لوجهة نظره :

● لكن إخفاءها أيضا، يكون دائما أكثر إيلاما !

● ● ●

لم يعلّق الأول،

واكتفى الثاني بالابتسام وأضاف :

● والسر ليس في معرفة الحقائق والمعلومات، فهي تظهر حتما في لحظة ما، حتى وإن طالت !

فاحتار الأول :

● السر في ماذا إذا ؟!

فرد الثاني بثقة :

● السر في كيفية التعامل معها !

وهكذا اضطر الأول لطرح تساؤله الأخير :

● هذه حقيقة أم معلومة ؟!

لم يرد الثاني،

فتشجع الأول وأضاف صيغة راوحت بين التساؤول والتأكيد :

● هه، ولكن هل يمكن القول فقط، أن سر الأسرار هو أن ليس هناك سر !؟

فهز الثاني رأسه موافقا،

وابتسامة الرضى تندلق من بين شفتيه، شفافة كشعاع الشمس الذي كان يغمر المكان !

شرود لا مراء فيه

1 شرود يانع

العلامة الضوئية، حمراء فاقعة، وعيناها تراقبان الطريق باهتمام،

السيارات تقف تماما، والطوابير تمتد وتمتد، وتظهر احترامها لقانون المرور .

العلامة الضوئية، صفراء تميل إلى البرتقالي، تبتسم، ناشرة شعاعها الدفء ،

السيارات تقف متحفزة، ويسمع صوت محركاتها وهي تتجاوب في هدوء وثقة،

. .

العلامة الضوئية، خضراء، يغمرها الزهو والحبور، وهي على أعلى العمود، تعطي الإذن للسائقين بالعبور،

السيارات، على الطريق، تسير ممتنة وشاكرة ،

العلامة الضوئية لها عينان، إنها تبرق بانبهار ،

السحب غيوم حبلى تنثر الرذاذ،

الريح تهمس في هدوء، وتجلب الانتعاش !

. .

ورجل المرور، شجرة خضراء، أينعت في الجوار !

2 شرود إعتراه الجفاف

العلامة الضوئية حمراء، فاقعة، تنظر في حيرة وتفقد القدرة على المبادرة ،

السيارات اعتراها الخبل والجنون،

السيارات لا تعرف العلامات الضوئية،

إنها تقطع الطريق ولا تتوقف، وتدعو ملك الموت إلى الاقتراب ،

العلامة الضوئية صفراء، اعتراها وهن وخمول ،

السيارات تتصنّع التجاهل واللا دراية، وتقطع الطريق ولا تبالي ،

العلامة الضوئية خضراء، تطل في خجل لا يدارى ،

السيارات تتزاحم، تطلق مزاميرها وتنشر أدخنتها كبراكين هادرة،

العلامة الضوئية لها عينان، إنها تذرف الدمع ،

السماء يعتريها الشحوب،

السحب بيضاء يعتريها الجفاف ،

الشمس ترسل أشعتها، شواظ يلتهب ،

الريح يعلو صخبها، ويرتفع عوائها كذئب هزيل يبحث عن أي فريسة في الجوار .

الريح تصفّر في رعب، وتجلب الغبار والأتربة !

ورجل المرور شجرة يابسة، بدأت تسقط أوراقها البنية اللون، والباهتة الملامح !

وحدة

من آخر الزقاق الضيّق المعتم، انحدرت دمعتان، وانزلقت شهقة غافلة ،

العجوز الواقف هناك ،

وحيدا ،

في ظل الشجرة الهرمة، المجاورة لمحل بيع المواد الغذائية ،

يداري جسده قليلا ويمتّع نظره اختلاسا، بمراقبة العابرين على الرصيف في الاتجاهين،

..

يروق له إذ ذاك أن يراهم :

متشابكي الأيدي ،

متلاصقي الأكتاف ،

مستغرقين في أحاديث تبدوا عميقة على الدوام، وبانسجام وتناغم ظاهرين ،

وأحيانا معبرين بالضحكات، أو حتى بالصراخ والصفير، عندما يبلغ عندهم الانسجام أقصى مداه ،

..

وهذا ما جعله مغمورا بإحساس دافئ، يغرق كيانه كل هو يمنح

هو هما جميلا بأنه ليس لوحده، وإنما هو أيضا محاط بآخرين،
يبدون هم أيضا :

متشابكي الأيدي ،

متلاصقي الأكتاف ،

مستغرقين في أحاديث عميقة، وبانسجام وتناغم ظاهرين ،

وأحيانا معبرين بالضحكات، أو حتى بالصراخ والصفير، عندما
يبلغ عندهم الانسجام أقصى مداه !

مدارات الشمس والطرقات

مع إطلالة الفجر الندية والنسمات المنعشة لصحو مبكر، يتثاءب الشارع المتكاسل ويرتدي عباءته، استعداد لنهار طويل، ممل،

وكالعادة، لا تبدو له نهاية ولا يلوح في الأفق أي شيء مغاير ومخالف للمعتاد .

..

تبدأ حركة السيارات في التعاظم ببطء في الاتجاهين، وعندما لا تجد حرجا في ذلك، تعلو الأبواق طلبا لإفساح الطريق أو لزيادة السرعة قليلا، فالاستعجال هو علامة اللحظة الموغلة في الشراسة والمشرفة على الانفلات .

..

تتبعث الحياة في الإشارات الملونة، الحمراء والخضراء والصفراء، المشنوقة على أعمدة معدنية، أقصر من أعمدة الكهرباء، المتواجدة بكثرة على الجانبين، والمتباعدة إلى مسافات متساوية، في طابور طويل، ويتواجد رجال المرور بكثافة، يحتلون مواقعهم المعتادة، تنبيها وتحذيرا، وينحشرون في الزوايا المعتمة، اصطيادا للعربات المارقة، والسائقين المتهورين، ولفترة، تتشكل الطوابير، وكأنها رصفت عن عمد، سلاسل، لا انقطاع لها، ولا فجوات بينها، فيما تنزلق الدراجات الهوائية والنارية، بينها بغرور ولا مبالاة .

. .

يشتد تواجد المارة على الأرصفة الجانبية، فيما يغتصب الباعة ما تبقى من زوايا، ينثرون عليها بضائعهم، ينشرونها على طاولات خشبية أو بلاستيكية، مربعة أو مستطيلة، ومحمية بمظلات ذات ألوان زاهية جذابة، أو باهتة من تأثير أشعة الشمس .

. .

تتعالى الصيحات العابثة والناصحة أو الآمرة، والمحملة بسباب بذيء أحيانا، وتشرع الميكرفونات المحمولة باليد في استمالة المارة وإغرائهم بالشراء، تفتح أجهزة التسجيل والراديوهات أشداقها، ويعل وضجيج الغناء الجميل والمتهافت، تتناثر الابتسامات والغمزات وإشارات الأصابع، وتتشابك النظرات والهمسات .

. .

وفي الأثناء ،

يكون قرص الشمس قد ارتفع رويدا، رويدا، وتربع في كبد السماء، مسترخيا ومستسلما لخدر لذيذ، دفعه، مع مرور الوقت، إلى البدء في التدحرج ناحية الغرب، ناشرا لونا أرجوانيا، منسكبا على أفق يميل إلى زرقة باهتة، تدعوا إلى حيث تستجيب كل الكائنات، لساعات من الراحة والدعة والاطمئنان .

. .

هكذا،

تتآكل اللحظات،

يغيب قرص الشمس تماما،

ينطفئ الإشعاع،

تضيء المصابيح،

يرتدي الشارع حلة أخرى من عقيق ونجوم،

تلمع أعين المارة والباعة والعابرين،

تغمز مصابيح السيارات،

تستمر الحركة في الاتجاهين،

تتباطأ على الأرصفة،

يخفت الضجيج رويدا، رويدا،

ينسل الوقت برتابة،

يسرق أول الليل،

تهدأ الحركة تماما،

تنتشر ظلمة حالكة،

..

ولا يسمع مع مرور الوقت،

وحتى الهزيع الأخير من الليل،

سوى مواء القطط في الزوايا المعتمة !

لحظة شجن *

بائع المكسّرات ،

يتنقّل بين الصفوف، في الصالة الفسيحة لدار العرض، ذات الأضواء المعتمة الباهتة ،

يتحرك ببطء، في الظلام، بين الممرات الضيقة،

يحتضن الصندوق البلاستيكي، المعلّق على أكتافه، يتحسّس محتوياته، ويشعر بالتفاؤل ،

●●●

بائع المكسّرات ،

ينادي على بضاعته من حبوب القرع المجفّف والمملّح بصوت منخفض :

● قلوب، قلوب !

لا أحد يستجيب، لا أحد يشتري، لا أحد يريد أن يتسلى بقلوب القرع المجفّف والمملّح، و هو يتابع مشاهد الشريط المعروض أمامه !

●●●

بائع المكسّرات،

بدا عليه التعب والإرهاق ،

هو الآن، يكاد يقع من الإجهاد،

هو الآن، لا يريد أن يتعثّر، فقد تخذله ساقاه في أي لحظة ،

هو الآن، لا يريد أن يستفزه أحد، فلقد نادى كثيرا على بضاعته ،

هو الآن، لا يهمه أن يبيع حبوب القرع المجفّف والمملّح ،

هو الآن، يعرف أن أطفاله سيشترونه منه، بدون مقابل ،

هو الآن، في لحظة شجن حارقة، يريد أن يغادر الصالة التي بدت الآن ضيّقة، ومطفأة الأنوار ،

هو الآن، يريد أن ينادي، بأسى وحزن، على بضاعته، لآخر مرّة،

هو الآن، يري أن يقول، بصوت أكثر هدوءا :

..

- قلوب، قلوب، ألا تملكون في أجوافكم، قلوب ؟!

....

* عن حكاية محلية .

الاتجاه المعاكس

لاحظ الكثيرون، تواجد الأطفال بكثافة على جانبي الطريق الرابطة بين طرفي القرية، والذي تعبره الدراجات الهوائية، وسيلة المواصلات الوحيدة في هذا المكان .

يلوح الطريق ضيقا، مستقيما إلى حين، في المناطق الخالية، ومتعرجا، متسعا، عند اقترابه من البيوت المتناثرة على الأطراف،

يقف الأطفال عادة، أو يجلسون، جماعات أو فرادى، على الجانبين، مبعثرين، في غير انتظام، وعند مرور الدراجات، يتسمرون في أماكنهم بدون حراك، ويتابعونها وهي تعبر على عجل وفي سرعات خاطفة، في الاتجاهين، وعندما تتوارى بعيدا، وتبدوا كأنها أشباح هاربة، يتبعثر الصمت، وتتبعثر معه مجاميع الأطفال، ويعل والضجيج، والضحك والصفير .

. .

في المساء،

أمام استراحة البيت،

طلب الأب، و هو يرشف من كوب الشاي، من ابنه أن يجلس أمامه،

اتكأ كعادته عندما يريد الحديث، وطلب منه أن يحدثه عما يفعل هو وباقي الأطفال على جانبي الطريق كل يوم .

. .

كانت زوجته متقرفصة في الجوار، أخبرها أن الخبر كان قد انتشر في القرية، ولم يجد له الكبار تفسيرا، وإن لم يعره البعض أي اهتمام يذكر، ولم تشكل معرفته أي أهمية بالنسبة للبعض الآخر، ما دام الشجار لا ينشب بين الأطفال ولا يسبب في أي إصابات بدنية، ولكنه أخبرها بأنه يريد أن يعرف .

..

فوجئ الولد بهذا الطلب، وأحس كأن في الأمر شيئا، أو كأن ما فعلوه يستوجب العقاب، وما سؤال أبيه إلا للتأكد قبل إنزال العقوبة، لكنه لم يجد مفرا من قول الحقيقة التي سيعرفها أبوه حتما، منه أو من غيره، فقال دون أن يرفع عينيه، أو ينظر باتجا هو الده :

● كنا نتابع سير الدراجات على الطريق !

فوجيء الأب، ونظر إليه نظرة توحي بعدم اقتناعه، وهز رأسه علامة عدم رضاه بالإجابة، وقال :

● وماذا في ذلك، هذا سبب غير كاف لتواجدكم هناك، كل يوم .

فتردد الولد، ورفع رأس هو قال :

● إنها العجلات يا أبي !

● ماذا، العجلات، كيف، ماذا بها ؟

● إن أسلاكها، عندما تسرع، تدور عكس اتجاه السير !

بهت الرجل للحظة، وانتابه الذهول ،

تقرفص ورشف الشاي، وبحلق في الفضاء أمامه، بإمعان !

ما يجدي، حقا

إعتاد أن يقطع الشارع بمسير عاجل ،

إعتاد على رؤية أعمدة الكهرباء، وهي تترافق مع مسيره دون كلل ،

إعتاد على رؤية بعضها يبعث الضوء ولو كان شحيحا، والبعض الآخر لا يهتم ،

إعتاد على تجاوزها بلا مبالاة ،

لم يعتد الوقوف إلى أيّ منها، لكن ذلك اليوم، فعلها ،

وقف أمام أحداها، رفع رأس هو أشار إلى تلك الرقبة المنحنية والمتدلية بمصباح كاشف كبير الحجم، وصرخ بقوة كما كان يتخيل المردة في الأساطير الشعبية، وهي تجوب قيعان الوديان الجافة، وتستمر في الصراخ المرعب، الذي يتردد صداه على جدران التلال المجاورة والمنتشرة في كل مكان :

● لن يجدي أبدا أن تقف على قمة الجبل وتصرخ !

تلقف العمود الحديث بزهو، بدا وضحا على ملامح هو قال مؤكدا وكأنه كان يتوقع مثل هذا القول وبهذه الحدة المبالغ فيها :

● أجل، ما يجدي حقا، هو أن تجلس على الصخر، في قدم الجبل، وتشرع في التفكير بهدوء !

أضاف بحماس بعد أن رأى تجاوب العمود المدهش، مؤكدا تعليقه

السريع والجاهز، مؤكدا تعليق الثاني :

● لن يجدي أبدا أن تستجدي أحدا، وتركن إلى الانتظار !

وعندما لم يجد تجاوبا فوريا هذه المرة، أضاف مؤكدا :

● ذلك ما لن يحدث !

انتظر قليلا، وبعد لحظات تفكير متسارعة، أعلن بلهجة خطابية مغلفة بحماس الواثق مما يقول :

● لن يجدي، ولن يثمر، ولن يفيد، أن تزرع الشوك، وتترقّب نضوج فاكهة الرمان !

وضع العمود الغارق في الوهم والظلام، يده على كتف الأول، وقال مواسيا أو معاتبا، وبحكمة معلمي التاريخ والتربية الوطنية :

● ما يجدي حقا يا رفيق، هو أن تدحرج صخرتك إلى أعلى، وتواصل الدحرجة، ولا تتوقف !

* * *

في لحظة صمت شاردة، اجتاحتهما على حين غرة، استغلها العمود الكهربائي النحيل، الذي كان يقف في الجوار ولم يبد أي تعليق في الأثناء، حيث التزم الصمت أثناء حديثهما، وقال بأسى و هو ينتظر انتشار الضوء وانسكابه على الأرصفة كالعادة ولو بعد حين :

● لماذا جرح الوطن لا يكف عن إيلامكما ؟!

..

الأول نظر إلى العمود الأول بحيرة ،

العمود الأول أشار للأول بضرورة الرحيل ،

الاثنان ،

ترافقا ﴿ صمت، حتى ذابا ﴿ الظلام ،

العمود الثاني ارتدى قبعته، أشعل سيجارة، وتأمل الأفق الداكن المنبسط حوله، الأفق الذي انتظر حتى استكملت أعمدة الكهرباء أحاديثها وغرقت ﴿ الصمت، بعد أن اعتراها الملل ،

. .

عمود إنارة واحد بلا إنارة، بدا متحفزا لمواصلة الحديث،

عمود بدا غارقا ﴿ الوهم والظلام،

لكنه ما لبث أن أفرد ذراعيه جذلا بعد هنيهات،

مستقبلا تباشير ضوء، بدأ يغمز من بعيد،

من ذؤابات تلك الأعمدة المتراصة كصفوف مدرسية اعتراها الملل والإرهاق !

وقت، لا يلين

قال يحدّثني محذّرا وبتعال لا مراء فيه :

● لا تعلّق أحزانك على مشجب اليأس كما قد يعنّ لك في أي حين ، وأنت تخب بدون هدف وسط الجموع ،أنا أعرفك !

وأضاف :

● لا تغالب وقتا يدرك كل ذلك، ولا يريد أن يلين ،
لا تفعل ذلك أبدا .

● ● ●

وعندما لفت انتباهه اهتمامي، ومحاولة تتبعي لكل ما يصدر عنه، تأمل الجوار، ملاحظا لأول مرة، الهدوء و هو يعم المكان ويبتسم للوقت، و هو يمر أمامه باتزانه المعهود، فواصل حديثه التحذيري قائلا و هو يبحلق في الأفق الممتد أمام هو كأنه يصارع حلما جميلا، لا يريده أن يتوقّف :

● فقط، حاول أن تدعوا ما يكدّر صفو العيش ،إلى فنجان قهوة بدون سكّر ،جاره في الحديث واطلق له الابتسامات .

وأشار بيديه مؤكدا :

● قد يبتسم لك هو الآخر وقد لا يستجيب، أعني ذلك ما قد يحدث لك في أي حين .

لم يلتفت إلى فنجان قهوته، الموضوع منذ حين، على الطاولة أمامه،

ولم يلحظ سيجارته التي انطفأت وتحولت بقاياها إلى رماد أبيض اللون،

وعندما حاولت من جانبي تلخيص الموقف بأكمله، قائلا له :

● يبدوا إن الوقت، حقا، لا يريد أن يلين !

رد مستنكرا، وممعنا في التحذير والإنكار :

● الوقت، لا يريد أن يلين ؟!

وعندما لم ارد، أضاف جادا وفي ثقة من يريد إيصال رسالة مهمة:

● وهل هناك غير ذلك ؟!

والتفت حول هو قال مؤكدا مرّة أخرى، بحركات من يدي هو تعبيرات وجهه الواضحة وتركيز نظرات عينيه في إتجاه مرتفع عن مستوى حافة السور المقابل :

● الوقت قاس، الوقت قد يتوحّش، الوقت قاتل، هذا الوقت يريد من يعرف كيف يحاوره، ويجعله يقف على الحياد، هل ذلك ممكن ؟!

وأطلق تنهيدة، بدت له مهمة لالتقاط أنفاس هو تجميع أفكاره التي بدت متسارعة ومتدفّقة ومتّسقة إلى حد كبير :

● ولكن لا عليك، فقط، لا تكرّر مثل هذا القول ،لا تفعلها ثانية، وليس لك أن تصدّق ،أنه لن يلبّي دعوتك ، وليس له، أيضا، أن يتوقّع منك ،ردّة فعل ،تلك التي تراها ،الآن ،ساطعة، أمام عينيك .

● ● ●

وعندما رآني أبدي موافقتي بابتسامة صادقة، وهزة رأس مؤكدة لما صدر عنه من أقوال، وكعادته عندما يريد إقفال الحديث أو إنهائه، بعد أن يبدي رضاه عن استجابات الطرف الآخر، أطلق هو الآخر ابتسامة، وقال ململما بقايا الكلام، و هو يعقد ذراعيه على صدره :

● غير ذلك ،لا تتعجّب ،ففي لحظة ما ،قد ينحني لك، احتراما ، ويرفع لك القبّعة ، وفي لحظة أخرى ،قد يسخر منك كثيرا ، ويدعوك، غريبا عنه ،عندما تسمّيه ،وقتا لا يلين !

رحلة صيد

ساد الصمت بينهما، وضلاّ يخبّان وسط المسارب المتربة، والمعشوشبة قليلا، حتى وجدا نفسيهما داخل الغابة الكثيفة الأشجار.

قال الأول، لكسر الصمت، وبناء رغبة في الحديث :

● هذا الجراب لا يبدوا جميلا، بل وغير لائق أيضا، ليرافق بندقية صيد حديثة الطراز !

● أعني هذه التي تحملها، وتعلّقها دائما على كتفك الأيسر .

واشار إليها ببسط يده، تقديرا لها، وأردف قائلا، و هو يبتسم بود ظاهر :

● من الجميل أن تضع على وسطك، حزاما جلديا عريضا مزركشا، محشوا بخراطيش بندقية الصيد، عليك باقتنائه، وعليك بأن تتمنطق به، كأي صياد ماهر ينتمي إلى سلالة النبلاء .

ضحكا معا، وتأمّلا الجراب الجلدي الباهت، المحشو بخراطيش، جلسا تحت جذع أحد الأشجار، وأسندا بندقيتيهما على جذع الشجرة المقابلة، ساد الصمت لبرهة، فقطعه الأول قائلا، ومشيرا للحزام الذي يلتف حول وسطه :

● هو سهل الاستعمال،

وأضاف ضاحكا :

● ليس في ارتداء هو خلعه فقط، بل في المرونة الفائقة عند استعماله أثناء عمليات الصيد أيضا ،

ونظر إلى حزامه، وتلمّسه بأصابع هو أضاف :

● إذ بإمكانك التقاط أصابع الخرطوش من أماكنها بدون حتى أن تنظر إليها .

ونزع أحد الخراطيش من مكانه بدون أن ينظر للحزام، وأضاف :

● مما لا يربكك أثناء الرغبة في تلقيم البندقية بسرعة، وبالتالي لا تضيع عليك فرصة اقتناص الفريسة، طائر كانت أم حيوان بري .

وابتسم وقال، بعد أن تأمل انعكاس حديثه على زميله :

● أليس ذلك أفضل من الانحناء قليلا، باتجاه غطاء الجراب، وفتح هو التقاط أحد الخراطيش من جوفه، وإحكام إغلاقه بعد ذلك، لتصل في النهاية إلى تلقيم البندقية، بعد أن يكون الصيد، قد غادر المكان، شاكرا ؟!

فضجا معا بضحك متواصل، وقال الأول مضيفا :

● هه، قل لي يا صديقي، هل ترى هذا أمرا مبهجا ؟!. .

تأمّله الثاني بدون أن يرد، وشرع يحشو بندقيته بإصبعي خرطوش، سحبهما من جوف جرابه الجلدي الباهت، وأعاد ربط غطاء الجراب، ووضع بندقيته على كتفه الأيسر، وأشار إلى زميله الأول، بأن يستمرا في المسير، وعندما قام الأول وبدءا يخطوان معا، قال الثاني متسائلا، و هو ينظر أمامه :

● اسمع يا صديقي، ألا تأتي البهجة أحيانا، من حيث لا ندري ؟!. .

لم يجب الأول، ولم ينتظر الثاني أية إجابة !

جدل قديم

الأول والثاني، صحفيان قديمان لا يحبان الركون إلى الصمت أبدا !

..

الأول جادا :

● أحيانا تبدوا الحقائق والمعلومات، عند إظهارها للملأ، مؤلمة جدا !

الثاني مبتسما :

● لكن إخفاءها، يكون دائما أكثر إيلاما .

الأول محرّضا :

● وهل تعتقد ذلك حقا ؟!

الثاني متجاهلا :

● والسر، أعني إذا كان هناك سر، ليس في معرفة الحقائق والمعلومات، فهي تظهر حتما في لحظة ما، حتى وإن طالت !

الأول جادا مرة أخرى :

● السر في ماذا إذا ؟!

الثاني راضيا :

● السر في كيفية التعامل معها !

الأول، و هو يعقد يديه على صدره :

● وهذه بدورها، حقيقة أم معلومة ؟!

الثاني بانشراح :

● أنا أعتقد أنها حقيقة معلومة !

الأول، إمعانا في الإثارة :

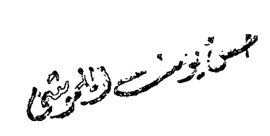
●إذا يمكن إعتبارها أيضا معلومة حقيقية !

الثاني :

● وإذا، هل سنكتب عن ذلك ؟!

الأول :

● بل وسننشره !



عيسى يوسف الدويشي

وحيدا، شاردا، تتأمل الأفق الأرجواني بكسل ولا مبالاة،

ومحاولا ترتيب أفكارك، والخروج بفكرة ما، تخيرك بين ترك البيت والذهاب بعيدا، أ والاستدارة، والتوجه مباشرة صوب حجرتك، حيث تغلق خلفك الباب، كما تعودت، وتشرع في التثاؤب إذا لم تسمع نداء أحد.

..

فلا تدع الشعاع يقرص عينيك، وانت تحدّق إلى هناك، واصغ جيدا الآن، فهذا ما قد تحدثك به الشمس، ساعة الظهيرة كل يوم، والقرص الملتهب، يتربع بلا مبالاة في كبد السماء،

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE